

﴿فَأَخْرَجَهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾
 ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْثَرْنَا لَهَا بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ ۝٥٩﴾ فَأَتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

[الشعراء: 57 - 60]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا اسْتَخَفَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ، بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ أَنَّ إِرَادَتَهُ هِيَ الْغَالِبَةُ، وَأَنَّ مَشِيئَتَهُ هِيَ الْقَاهِرَةُ؛ فَلَمَّا عَادَى فِرْعَوْنُ وَمَلُؤُهُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَكَانُوا لَهُمْ بِالْمُرْصَادِ، خَلَقَ سَبْحَانَهُ فِيهِمْ دَاعِيَةَ الْإِقْصَاءِ وَالْإِبْعَادِ، وَالْحَرَمَانِ مِمَّا عَاشُوا لِأَجَلِهِ وَكَانُوا يَبْغُونُ فِيهِ الْإِزْدِيَادَ، وَجَازَاهُمْ بِمَا أَرَادُوا أَنْ يَجَازُوا بِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَكُونُوا عِبْرَةً لِّمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُعْتَدِينَ^(١).

من أطاع الله عزَّ
في الأرض وساد،
ومن كفر أمهله
وهو له بالمرصاد

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَكُنُوزٍ﴾: أَصْلُ (كَنْز) يَدُلُّ عَلَى تَجْمُعٍ فِي شَيْءٍ^(٢)، وَهُوَ مِنْ كَنَزْتُ التَّمْرَ فِي الْوَعَاءِ^(٣)، وَالْكَنْزُ: جَعَلَ الْمَالِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَحَفَظَهُ كَالْمَالِ الْمَدْفُونِ وَغَيْرِهِ إِذَا أُحْرِزَ فِي وَعَاءٍ، وَقَدْ كَنَزَ الْإِنْسَانُ مَالًا يَكْنِزُهُ وَأَكْنَزَتْهُ^(٤)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: 34]؛ يَدَّخِرُونَهَا^(٥)، وَكَتَنَزَ الشَّيْءُ: اجْتَمَعَ وَامْتَلَأَ^(٦)، وَمَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكُنُوزٍ﴾: أَيِ: الْأَمْوَالِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ^(٧).

(1) البقاعي، نظم الدرر: 41/ 41، 42، والراغب، تفسير القرآن: 67/ 19، والهرري، حقائق الروح والريحان: 210/ 20.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كنز).

(3) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (كنز).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (كنز).

(5) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (كنز).

(6) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (كنز).

(7) البغوي، معالم التنزيل: 114/ 6، والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 565/ 2.

(2) ﴿وَمَقَامٍ﴾: أصل (قَوِّم) يدور حول معنى الانتصاب أو العزم على الشيء⁽¹⁾، وقام يقوم قيامًا، فهو قائم، وجمعه قيام⁽²⁾.

والقيام: نقيض الجلوس⁽³⁾، وأقام بالمكان إقامة ومُقَامًا: لبث⁽⁴⁾، وأقام الشيء: أدامه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: 3]⁽⁵⁾.

"وَكُلُّ مَنْ ثَبَّتَ عَلَى شَيْءٍ وَتَمَسَّكَ بِهِ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِ"⁽⁶⁾، ويقال لمن لم يُطِقْ فعل شيء، ولم يَقْدِرْ عليه: لم يَقُمْ به⁽⁷⁾.

وقوام الأمر: نظامه وعماده، وقوام كل شيء ما يقوم به الشيء، أي: يَثْبُت، كالعماد والسَّناد: لما يَعْمَدُ وَيُسْنَدُ به⁽⁸⁾، ومنه قوام الحق، وقوام الدين⁽⁹⁾.

والمقام يكون مصدرًا، واسم مكان القيام وزمانه، ومما هو اسم مكان القيام ما جاء بمعنى موضع القدمين⁽¹⁰⁾، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مجلس حسن، أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تحفُّها الأتباع⁽¹¹⁾؛ فيكون مقام في هذا الموضع اسم مكان.

(3) ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾: الورث والورثة: انتقال قِثْيَةٍ إليك عن غيرك من غير عَقْد، ولا ما يجري مجرى العقد⁽¹²⁾، وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنَسَبٍ أو سَبَبٍ⁽¹³⁾، ثم تُطْلَقُ الورثة والإرث على نفس المال المنتقل عن الميت، فيقال للقِثْيَةِ الموروثة: إرث وميراث، وأصله: مَوْرَث، وقلبت الواو ياء، وتراث أصله وُراث، وقُلِبَت الواو تاء، ومنه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).

(2) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قوم).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (قوم).

(4) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (قوم).

(5) الجوهري، الصحاح، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قوم).

(6) الأزهري، تهذيب اللغة: (قوم).

(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (قوم).

(8) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (قوم).

(9) ابن فارس، الجمل: (قوم).

(10) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (قوم).

(11) البغوي، معالم التنزيل: 6 / 114.

(12) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ورث).

(13) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ورث).

قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ [الفجر: 19]⁽¹⁾، ويقال: ورثت الشيء من أبي، وعنه، أرثه ورثاً ووراثَةً وإرثاً، وأورثني الميث كذا، وأورثني الله كذا⁽²⁾، وأيضاً: يقال لكل ما حصل من غير تعب: قد ورث كذا، ويقال: لمن خول شيئاً مهنئاً: أورث، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ [الزخرف: 72]⁽³⁾.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأُورِثْنَهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أراد أن جميع ما ذكره الله من الجنات والعيون والمقام الكريم أورثه الله بني إسرائيل لما أرجعهم إلى مصر بعد هلاك فرعون، وما استعاروه من حُلِيِّ آل فرعون بأمر الله⁽⁴⁾.

(4) ﴿مُشْرِقِينَ﴾: أصل (شرق) يدلُّ على إضاءة وفتح⁽⁵⁾، وَشَرَقَتِ الشَّمْسُ تَشْرُقُ شُرُوقًا: طَلَعَتْ، وَأَشْرَقَتْ: أَضَاءَتْ، قال الله تعالى: ﴿بِالْعَبِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: 18]⁽⁶⁾.

والمُشْرِقِ والمَغْرِبِ إذا قِيلاَ بالِأَفْرَادِ فإِشارةَ إلى نَاحِيَتَيِ الشَّرْقِ والغَرْبِ⁽⁷⁾، وإذا قِيلاَ بلفظ التَّثْنِيَّةِ، فإِشارةَ إلى مَطْلَعَيِ مَغْرِبِي الشِّتَاءِ والصَّيْفِ⁽⁸⁾، وإذا قِيلاَ بلفظ الجمع، فاعتبار بمطلع كلِّ يومٍ ومغربه⁽⁹⁾.

وَأَشْرَقَ الرَّجُلُ: أَي: دَخَلَ فِي شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ: أَضَاءَ وَتَلَأَأَ⁽¹⁰⁾، ومعنى قوله تعالى: ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾: أَي: لَحِقُوهُمْ وَقْتَ شُرُوقِ الشَّمْسِ⁽¹¹⁾.

❖ الْمَغْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

في هذه الآيات الكريمات بيان لما حلَّ بفرعون وقومه من هلاك بسبب كفرهم وبغيهم، وبيان لما اقتضته إرادة الله ومشيتته فيهم؛ حيث يقول سبحانه: فأخرجنا فرعون وقومه

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ورث).

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (ورث).

(3) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (ورث).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 100/13.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شرق).

(6) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شرق).

(7) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شرق).

(8) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شرق).

(9) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شرق).

(10) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (شرق).

(11) البغوي، معالم التنزيل: 115/6.

دمار الظالمين
وهلاك المسرفين
فيه كبير آية من
قدرة الله رب
العالمين

من أرض مصر ذات البساتين التي كانوا يعيشون فيها، وأنهار عذبة كانوا يشربون منها، وأموال ظاهرة من ذهب وفضة كانوا لا يؤدّون حقّها، ومجالس حسنة كانوا منعمين بجمالها، كذلك كان الإخراج لهم كما وصفنا لكم أيُّها المعتبرون، ثمّ ملَّكنا بعد ذلك تلك الديار والنعم لبني إسرائيل بعد هلاك فرعون وقومه، فلحق فرعون وجنّده موسى ومن معه وقت شروق الشمس؛ ليردّوهم ويحولوا بينهم وبين الخروج من البلاد⁽¹⁾.

وترشد الآيات الكريمة إلى أنّ الملك لله سبحانه يؤتية من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويُعزّز من يشاء بطاعته، ويُذلّ من يشاء بمعصيته، وإلى هوان الخلق على الله إذا هم عصّوه، وإلى أنّ دمار الظالمين وهلاك المسرفين سببه الكفر والشر والفساد⁽²⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

معنى الفاء ودلالاتها في: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ عاطفة⁽³⁾ تفيد الترتيب والتعقيب، أي أنّه سبحانه بعد هذا الفرع بين مآل أمرهم، وقد يقال: يكون إغراقهم معقّباً لقول فرعون مع أنّ بينهما حوادث، والجواب عن ذلك: الإشارة إلى أنّ الله تعالى قدر ذلك واقعاً وتكويناً، عندما أخذ فرعون الطاغية ومعه ذلك الذعر، فكأنّه وقع عقبه، لتأكّد وقوعه⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بالماضي في: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾:

جاء الفعل في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ ماضياً؛ لإفادة تحقّق وقوع هذا الإخراج لهم، وأنّه شيء وقع وانقضى، وجرياً على الظاهر في حكاية خبر ماضى، مع عدم وجود داعٍ للعدول عن هذا الظاهر.

العطف
للتعقيب؛
لإفادة أنّ
الأمر كلّ به
الحسيب الرقيب

الماضي لإفادة
التحقّق، وأنّ
كلّ شيء بأمر
الله محقّق

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 578 - 580.

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 591، والجزائري، أبسر التفاسير: 3/ 652.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 41، وأبو زهرة، زهرة التفسير: 10/ 360.

(4) أبو زهرة، زهرة التفسير: 10/ 360.

نكتة إسناد الفعل لنون العظمة:

أُسند الفعل لنون العظمة في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَهُمْ﴾؛ لأنَّ المراد: إِنَّا جعلنا في قلوبهم ما يدعوهم ويحملهم ويدفعهم إلى الخروج، فاستوجبت هذه الدّاعية الفعل الذي هو الخروج، فكان الفعل مضافاً إلى الله تعالى لا محالة، وكانت هذه القدرة العظيمة على جعل الدّاعية القائمة في نفوس هؤلاء المُخْرَجِينَ تحملهم على الخروج؛ مناسبة لاستعمال نون العظمة⁽¹⁾.

توجيه المراد بالصّميم الغائب في فعل الخروج:

ضمير الغائب في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَهُمْ﴾، يعود إلى فرعون وجنده من القبط⁽²⁾، وأنما لم يأت بالاسم الظاهر، فيقول: (أخرجنا فرعونَ وجندَه)؛ لأمن اللبس، ومعرفة المقصود من عود ضمير الغائب، ولظهور التّمايز بين المؤمنين والكافرين؛ إذ الله ﷻ قد أعزَّ بني إسرائيل لإيمانهم به، وأخرج فرعون وجنوده من نعيمهم لكفرهم به.

معنى ﴿مِنْ﴾ ودلالاتها في الآية:

الأصل في معنى (مِنْ) أَنَّها موضوعة للدّلالة على ابتداء الغاية؛ كقولك: سِرْتُ مِنَ البصرة إلى الكوفة⁽³⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾؛ أي: جعلنا ابتداءً إخراجهم من موضع الجنّات والعيون، وهي بساتين أرض مصر؛ إبرازاً للمفارقة بين المُخْرَجِ منه والمُخْرَجِ إليه، وتشنيعاً من جرم الكفر، وتهويلاً لعاقبته.

نكتة تنكير ﴿جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ومعنى الجمع فيها:

جاءت كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ نكرةً للتّعظيم، وكلمة ﴿وَعُيُونٍ﴾ للتّكثير،

بيان القوّة
والإقتدار، وخلق
الباعث على
مفارقة الدّيار

الإخراج
دليل التّمايز
والتمحيص،
بإبقاء المؤمن
وإخراج الكافر
الخبث

(من) لابتداء
الغاية؛ إشارة
لأوّل طريق
الغواية

أوثر التّنكير
لإفادة التّعظيم
والتّكثير

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 506 / 24، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 139 / 4.

(2) ابن عطية، للحرر الوجيز: 232 / 4، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 132 / 19.

(3) ابن يعيش، شرح للفصل: 459 / 4، والسامرائي، معاني النحو: 75 / 3.

وجاء هذا التَّنَوُّع في معاني التَّنْكِير بين المتعاطفين من اختلاف صيغة الجمع في كلِّ، فكلّمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ مجموعة جمع مؤنَّث سالم الذي يفيد القلَّة، فناسب معنى التَّعْظِيم، فهي جَنَّات عظيمة، وإن لم تكن كثيرة، فقلَّتْها دليل عَظَمَتِها من حيث تُفَرِّدها وقلَّة نظيرها، وهو الأليق في وصف الجنَّات.

وكلّمة ﴿وَعُيُونٍ﴾ مجموعة جمع تكسير على صيغة من صيغ جمع الكثرة، فأفادت مع التَّنْكِير معنى الكثرة؛ أي عيون كثيرة، وكثرة العيون من الأمور المرغوب فيها؛ لتكثير المشارب وتنوُّعها، فيأمن الشَّارب من التَّدافُع والتَّزاحُم عليها.

دلالة عطف العيون على الجنَّات:

أفاد عطف العيون على الجنَّات في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الإشارة إلى أنَّ الجنَّات لا تكون إلا مع مادَّة حياتها وبقائها من العيون النَّابع منها الماء، الذي تحتاج إليه الجنَّات للنُّمو والبقاء؛ فتمام الإنعام بالجنَّات لا يكون إلا بوجود مصدر دائم للماء، الذي هو العيون، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣﴾ [الكهف: 33]، وأيضًا، فإنَّ الجنَّات مصدر للطَّعام الطَّيب، والعيون منبع للشَّراب العذب الرَّائق، فالجمع بينهما وعطف العيون على الجنَّات جَمْع للممَّنَّ عليهم بهذه النُّعمة أصناف النُّعم الضَّروريَّة للعيش الطَّيب، فيكون إخراجهم منها، وسلْبهم إياها حَسرةً وندامة، وعقوبة شديدة بقدر حاجتهم لها، وتنعمهم بها قبل الإخراج منها.

علَّة وصل قوله تعالى: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ بسابقه:

وُصِّلَ قوله تعالى: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ بسابقه؛ للإشعار بأنَّه يوجد تغاير بين الجملتين مع اتِّحادهما في مسألة الحرمان؛ يعني أنَّهم كما حُرِّموا من الجنَّات والعيون والنُّعيم، حُرِّموا أيضًا من مجالسهم الفاخرة ومنازلهم الباهرة وكنوزهم المتكاثرة؛ فأخرجوا

الجنَّات تحتاج
للعيون؛ لأنَّ
بقاءها إنّما بالماء
يكون

وصل للتفرقة
والتمييز، وبيان
حرمانهم من
كلِّ ما هو عزيز

من النعيم إلى الجحيم بعد أن تمتعوا دهرًا طويلًا وقضوا بلدته عمرًا مديدًا، مصرّين على الكفر والفساد، والتكبر على العباد، فتزداد بذلك الحسرة والنكال، ويُعلم أن الأمر بيد الله الكبير المتعال⁽¹⁾.

سرُّ تخصيص المخرج منه وترتيبه بدءًا بالجنّات، وانتهاء بالمقام الكريم:

جاء الترتيب في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ حسب الأهمية بالنسبة لهم؛ فجاءت الجنّات أولًا، حيث إنَّ بساطتهم كانت ممتدة على حافتي النيل من أعلاه إلى آخره، وفيه إشارة إلى نيلها السعيد.

الترتيب حسب الأهمية، وما له في قلوبهم منزلة عليّة

وجاءت العيون ثانيًا، حيث إنَّهم كانوا يملكون واحدًا من أعظم أنهار الدنيا وهو نهر النيل، وقد كانت الآبار بين مصر وليبيا، تجري فيها عيون الماء، فتخصب الأرض⁽²⁾.

وجاءت الكنوز ثالثًا، حيث إنَّ أرضها كانت مملوءة في باطنها بالمعادن والفلزّات، وكنوز من سبقوهم من الفراعنة، كما لا تزال آثار من قبل فرعون موسى، مملوءة بالآثار الدالة على قوّة سلطانهم وثرائهم⁽³⁾.

وجاء المقام الكريم رابعًا، حيث إنَّهم - نتيجة الثراء الكثير، والخير الوفير كانت منازلهم مشيّدة، ومجالسهم فخمة⁽⁴⁾.

نكته تنكير ﴿وَكُنُوزٍ﴾ ومعنى الجمع فيها:

جاءت كلمة ﴿وَكُنُوزٍ﴾ مُنْكَرَةً لإفادة التّكثير؛ لأنَّ أرض مصر كانت فيها كنوز كثيرة، ومما يؤيّد ذلك ويؤكد مجيء الكلمة جمعًا على صيغة الكثرة⁽⁵⁾.

حسرة مبررة لضياح الكنوز الكثيرة

(1) الراغب، تفسير القرآن: 67/ 19، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 591.

(2) السمعاني، تفسير القرآن: 48 / 4.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 360 / 10.

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 360 / 10.

(5) البروسوي، روح البيان: 277 / 6.

دلالة تسمية متروك آل فرعون بالكنوز:

سُمِّيَ ما تركه آل فرعون، وما خَلَّفوه وراءهم كَنْزًا، وهي الأموال الظَّاهرة - وإن لم تكن مكنوزة ومدفونة - لأنَّه لم يُؤَدَّ حقَّ الله فيها، وكلُّ ما لم يُعطِ حقُّه، ولم يُؤَدَّ حقَّ الله منه، فهو كنز وإن كان ظاهرًا⁽¹⁾.

نكتة تنكير ﴿وَمَقَامٍ﴾، ودلالة وصفه بـ ﴿كَرِيمٍ﴾:

جاءت كلمة ﴿وَمَقَامٍ﴾ نكرة لإفادة التَّعْظِيم؛ لأنَّ المراد من هذا المقام هي المنازلُ الحسنة، والمجالسُ البهيَّة⁽²⁾، ولهذا جاء وصفه بـ ﴿كَرِيمٍ﴾ مناسباً لإفادة التَّعْظِيم الذي دلَّ عليه التَّنْكِير.

معنى التَّشْبِيهِ في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾:

معنى التَّشْبِيهِ في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾: أي: أخرجناهم مثلَ ذلك الإخراج الذي وصفناه⁽³⁾؛ وذلك لإفادة تعظيم المشبَّه، وبيان أنَّه قد بلغ الغاية في علوِّ الشَّأن بحيث إنَّه لو أُريد تشبِيههُ بشيء، لَشُبَّه بنفسه، ووجه ذلك التَّعْظِيم أنَّ إخراج فرعون وجنده من بساتينهم وأنهارهم وكنوزهم مع تملُّكهم لها، وشدَّة تمكُّنهم منها، ما كان يَقْدِرُ على إخراجهم منها إلَّا مَنْ بيده ملكوت كلِّ شيء، وإليه يرجعون، فكان إخراجاً عظيماً جُعِلَ مثلاً لما تلاه، وبرهاناً على شدَّة أخذ الله.

نكتة التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِلْبَعِيدِ ﴿كَذَلِكَ﴾:

جاء التَّعْبِيرُ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِلْبَعِيدِ؛ لإفادة التَّعْظِيم، حيث إنَّ كاف التَّشْبِيهِ جاءت لتشبيه الخروج بذلك الإخراج المذكور، فيكون المعنى: مثلَ ذلك الإخراج العظيم أخرجناهم، وفيه إشارة إلى أنَّ فرعون وجنوده بتجبرُّهم ما كان يقدر على إخراجهم إلَّا ربُّ الأرباب الجبَّار القهار، المُخْرِجُ له ولجنوده هذا الإخراج العظيم.

(1) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 3/ 325، والطَّبِّي، فتوح الغيب: 11/ 364.

(2) البروسوي، روح البيان: 6/ 277.

(3) الطَّبِّي، فتوح الغيب: 11/ 364، والألوسي، روح المعاني: 10/ 82.

إطلاق كنوز على
ما تركوه؛ لما فيه
من حقٍّ لله لم
يعرفوه

تنكير مقام
للتَّعْظِيم بدلالة
وصفه بالكريم

تشبيه الشيء
بنفسه دليل
عظمته، وبرهان
رفعته

الإشارة في
سياق اللدح
للبعيد تفيد
معاني التَّعْظِيم
والتَّمْجِيد

معنى الواو ودلالاتها في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ اعتراضية⁽¹⁾، تفيد أن جملة ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ جملة اعتراضية بين المعطوف عليه ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ والمعطوف ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ﴾⁽²⁾، وقد أفاد هذا الاعتراض بيان أن قوم فرعون لن يعودوا بعد خروجهم هذا، أي أنهم بمجرد خروجهم قضى الله أن يكون ما تركوه ميراثاً لغيرهم من أهل مصر، وأنهم سيهلكون فلا يرجعون.

دلالة التعبير بالماضي في فعل الإبراث:

جاء الفعل في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ ماضياً؛ لإفادة تحقق وقوع هذا الإبراث لبني إسرائيل، مصداقاً لوعده سبحانه إيّاهم في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽³⁾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ⁽⁴⁾ [الأعراف: 128 - 129]، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا أَلَيْسَ بَرْكَناً فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: 137]، وأنه شيء وقع وانقضى، وجرياً على الظاهر في حكاية خبر مضى، مع عدم وجود داعٍ للعدول عن هذا الظاهر.

نكتة إسناد الفعل لنون العظمة:

أُسند الفعل ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ إلى نون العظمة؛ تنبيهاً على أن تحويل حال بني إسرائيل من الاستعباد إلى وراثة هذا النعيم وتملكه إنما هو من آثار عظمة هذا الربِّ الجليل القادر ومقتضيات قدرته، الذي

اعتراضية بين
المعطوفتين
لإفادة هلاكهم
بقضاء العليّ
الكبير

إفادة تحقق
الوقوع،
فخروجهم ليس
بعده رجوع

بيان قدرته
بالإقصاء
والإبعاد،
وإبراث النعيم
لمن شاء من
العباد

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 78 / 7.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 364 / 11، والآلوسي، روح المعاني: 83 / 10، وابن عاشور، التحرير والتنوير:

هو كل يوم في شأن، فناسب أن يُسند الفعل إلى نون العظمة تنبيهاً على ذلك.

توجيه عود ضمير الغائب في: ﴿وَأَوْرَثْنَهَا﴾:

عائد إلى
الأجناس
المذكورات من
الكنوز والعيون
والجنات

ضمير الغائب في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَهَا﴾ عائد إلى أجناس الأشياء المعدودة، أي: أعطيناهاهم من جنس الجنات والعيون والكنوز مثل ما كان لفرعون وقومه، من جنات وعيون، وكنوز الكنعانيين حتى سلط الله عليهم بني إسرائيل، فغلبوهم على أرض فلسطين والشام⁽¹⁾.

نكتة التعبير بالإيراث:

التعبير
بالإيراث؛
لسرعة التملك
والانبعاث

أوثر التعبير بالإيراث للدلالة على التملك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَهَا﴾؛ لأنّ الوارثين لم يملكوا تلك الجنات والعيون والكنوز بالفعل بمجرد خروج فرعون وجنوده منها، بل مكنت لهم، فالمنى: مكنا تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم إياهم على طريقة مال المورث للوارث؛ لأنّ الوارث ينتقل المال ملكه بمجرد موت مورثه، لا بقبضه للمال بالفعل، فشابهت صورة التمكن للجنات والعيون والكنوز بمجرد إخراج فرعون وجنوده منها، دون تملك لها بالفعل، بصورة تمكن الوارث من مال مورثه بمجرد موته، وإن لم تكن يده على ذلك المال بالفعل؛ كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها⁽²⁾.

وفيه إشارة إلى أن إخراجهم منها لا عودة بعده إليها مرة أخرى، فهو خروج باتّصلتهم بهذه الجنات والعيون والكنوز، كما هو الحال في الموت، لا عودة منه إلى الحياة، ولا سبيل إلى استرجاع المال الموروث.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 133 / 19.

(2) البروسوي، روح البيان: 6 / 278.

معنى الفاء ودلالاتها في: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ عاطفة تفيد التفرع⁽¹⁾، عطفت جملة ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ على جملة ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾، والتقدير: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ فَاتَّبَعُوهُمْ﴾، وما بينهما اعتراض؛ فالإتباع عقب الإخراج لا الإيراث⁽²⁾، ولما وصف سبحانه الإخراج، وصف أثره فقال مُرَتَّبًا عليه بالفعل وعلى الإيراث بالقوة: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾، أي: جعلوا أنفسهم تابعة لهم⁽³⁾.

الفاء عاطفة
للتفرع؛
لزيادة التوبيخ
والتقريع

توجيه عود الضمائر في: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾:

يعود ضمير الفاعلين في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ على فرعون وجنوده، ويعود ضمير الغائبين على نبي الله موسى ﷺ وبني إسرائيل، ولم يُعبّر بالاسم الظاهر في كلا الضميرين، فيقال: ﴿فَاتَّبَعَ فرعون وجنوده موسى وبني إسرائيل﴾؛ لأمن اللبس وتبادر العود المقصود إلى الذهن، مع كون الإضمار أخصر من الإظهار، وهو ما يتناسب مع مراد الآية في تصوير سرعة ملاحقتهم لموسى ﷺ وبني إسرائيل.

التعبير
بالضمير؛
للاختصار،
وشدة الوضوح
والإظهار

دلالة التعبير بالماضي في فعل الإيتباع:

جاء الفعل في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ ماضيًا؛ لإفادة تحقق وقوع إيتباع فرعون وجنوده لموسى ﷺ وقومه وملاحقتهم لهم، وأنه شيء وقع وانقضى، وجريًا على الظاهر في حكاية خبر مضى، مع عدم وجود داعٍ للعدول عن هذا الظاهر.

إبراز معنى
التحقيق، وهو
بإفادة التوكيد
حقيق

توجيه المراد بقوله تعالى: ﴿مُشْرِقِينَ﴾ بين الزمان والمكان:

﴿مُشْرِقِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ حال من

وقت الشروق
على الزمانية،
أو جهة الشرق
على المكانية

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 134 / 19، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 78 / 7.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 364 / 11، والآلوسي، روح المعاني: 82 / 10.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 42 / 14.

الضَّمِير المرفوع، يجوز أن يكون معناه قاصدين جهة الشَّرق، يقال: أشرق، إذا دخل في أرض الشَّرق، كما يقال: أُنْجِدَ وَأَتَّهَمَ وَأَعْرَقَ وَأَشَامَ للدُّخُول في هذه المناطق المذكورة، ويُعَلَم من هذا أَنَّ بني إسرائيل توجَّهوا صوب الشَّرق، وهو صوب بحر (الْقُلْزَم)، وهو البحر الأحمر، وسُمِّيَ يومئذ بحر (سَوْف) وهو شرقيُّ مصر⁽¹⁾.

ويجوز أن يكون المعنى داخلين في وقت الشُّروق من أشرقت الشَّمْسُ شروقاً إذا طلعت؛ أي: أدركوهم عند شروق الشَّمْس بعد أن قضوا ليلة أو لياالي مشياً، فما بَصُرَ بعضهم ببعض إلا عند شروق الشَّمْس بعد لياالي السَّفَر⁽²⁾، ومنه قول العرب في الجاهليَّة: (أَشْرِقْ ثَبِيرٌ، كَيْمَا نَغِيرُ)⁽³⁾؛ أي: ادْخُلْ في شُروقِ الشَّمْس⁽⁴⁾.

فردة استعمال مادة الإخراج في السياق:

جاء هنا في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾، وقد جاء في الدخان قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: 25]، لأنَّ سيقا سورة الشعراء يتضمَّن ذكر فرعون وما كان فيه من الملك الذي خضعت له به المدائن، وذُلَّ له به النَّاس، وما جمع من أموال، وجند، وعزَّة، ولأنَّ الإخراج أشدُّ من التَّرك؛ إذ التَّرك يكون اختياراً أو إكراهاً، أمَّا الإخراج فيقتضي مخرِجاً يكون منه الفعل، ومخرِجاً يقع عليه الفعل، ومخرِجاً منه وهو ظرف الفعل، ودلالته على الإلجاء والإكراه أكثر.

فلما أُريد إبرازُ المفارقة بين حال العزَّة وحال الذَّلَّة، والتَّوكيد على عِظَم الآية وجلال المنَّة، في إهلاك الله تعالى الكافرين، وإنجائِهِ عباده المؤمنين - ناسب أن يكون التَّعبير بما فيه دلالة على الإلجاء والإكراه؛ إذ لاَّ للأنوف وإخضاعاً للجباه، ولما خرج فرعون بِقَضِهِ وقَضِيضِهِ، وجنده لإنفاذ وعيده، فقد ناسب أن يعبرَ عن إهلاكهم بالإخراج، فقيل: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾.

- (1) الألوسي، روح المعاني: 83/10، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 134/19.
 (2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 134/19، وينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 506/24، وأبو حيان، البحر المحيط في التفسير: 8/159، والألوسي، روح المعاني: 83/10.
 (3) كما ورد في الحديث عن عمر رضي الله عنه، قال: «كان أهل الجاهليَّة لا يُفيضون من جَفْع، حتى يَرَوْا الشَّمْسَ على ثَبِيرٍ، وكانوا يقولون: أشرقَ ثَبِيرٌ كَيْمَا نَغِيرُ، فأفاضَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله قبلَ طلوعِ الشَّمْس»، أخرجه البخاري، صحيحه: (1684)، وأبو داود، سننه: (1938)، والترمذي، جامعه: (896)، والنسائي، سننه: (3047)، وابن ماجه، سننه: (3022)، وأحمد، مسنده: (295) واللفظ له.
 (4) ابن قتيبة، غريب القرآن: 317.

أما في سورة الدُّخان فلم يتقدَّم فيها شيء من ذلك، بل جاء فيها قول الله تعالى: ﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرَقُونَ ١١﴾ [الدخان: 24]، فأوحي إلى موسى ﷺ أن مصير فرعون وجنده هو الفرق المحتوم؛ فلذلك قال الله تعالى بعده: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٢﴾ [الدخان: 25]، والتَّرك هنا مستعمل في معنى ترك الشيء غلبةً دون اختيار؛ كما يقال: (ترك الميَّت مالا) (1).

فَتَحْصُلُ مِمَّا سَبَقَ مُشْهَدَانِ:

أحدهما: مشهد إخراج فرعون وجنده من ملكهم وكنوزهم وبساتينهم، وكان هذا قبل الإغراق؛ لأنَّ الإغراق مذكور بعده في سورة الشعراء، حيث قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٢﴾، ثم قال بعدها بثماني آيات: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ١٣﴾ [الشعراء: 66].
والآخر: مشهد موت فرعون وجنده غرقاً وتركهم الزُّروعَ والجَنَّاتِ والعيونَ، وهو المذكور في الدُّخان: ﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرَقُونَ ١١﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٢﴾ [الدخان: 24 - 25]، وبين الآيتين محذوف مفهوم من القصَّة (2).

فمشهد الإخراج سابق لمشهد الإغراق، فَخُصَّتْ به السُّورة السابقة في ترتيب النُّزول وترتيب المصحف، وهي الشعراء، وَخُصَّتْ الأخرى بالمشهد الأخير، مع ما بين الأمر بترك البحر رهوًّا وبين ذكر ترك الجنَّات والعيون (في الدُّخان) من المشاكلة.

اختصاص موضع سورة الشعراء بذكر الكنوز:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ استعمال مفردة الكنوز، وذلك لمناسبة السياق، وذلك أنَّه تقدَّمها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ١٠﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرِّينَ ١١﴾، فذكرَ فيها الأجرَ، وذكرَ الأجر يناسبه ذكر الكنوز.
وأما موضع سورة الدُّخان اختصَّ بذكر الزُّروع - وهو الأنسب لموضوعها وسيافاتها -، ذلك لأنَّه قد تقدَّم فيها ذكر ما عذب الله تعالى به قريشاً من الجَدْب والقَحْط حتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَرَى كَهَيْئَةِ دُخَانٍ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْجُوعِ، وذلك قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ١٠﴾ [الدخان: 10] (3).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 301/25.

(2) ابن عطية، البحر الوجيز: 72/5، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 301/25.

(3) متَّفَق عليه، أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة حم الدُّخان، الحديث رقم: (4821)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار، الحديث رقم: (2798).

ثُمَّ ذُكِرَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ مَعَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ لِتَكُونَ مَثَلًا لِحَالِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَجَعَلَ مَا حَلَّ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنْذَارًا بِمَا سَيَحِلُّ بِالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْقَحْطِ وَالْبَطْشَةِ مَعَ تَقْرِيْبِ حُصُولِ ذَلِكَ وَإِمَّاكَانِهِ وَيُسْرِهِ⁽¹⁾.

فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ لَمَّا ذُكِرَ الْوَعْدُ بِالْأَجْرِ الْجَزِيلِ فِي الشُّعْرَاءِ نَاسِبُهُ ذِكْرُ الْكُنُوزِ؛ إِذْ كِلَاهُمَا مَالٌ، وَلَمَّا ذُكِرَ الْعَذَابُ بِالْقَحْطِ وَالْجَدْبِ فِي الدُّخَانِ نَاسِبُهُ أَنْ يُذْكَرَ مِثْلُهُ مِمَّا حَدَثَ مَعَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ الَّذِينَ تَرَكُوا الزُّرُوعَ وَالْمَقَامَ الْكَرِيمَ.

فَكِلَا الْأَمْرَيْنِ تَرَكُوهُ؛ لِأَنَّ مَصْرَ ذَاتِ زُرُوعٍ، وَالْكُنُوزُ هِيَ مَا كَانُوا يَدَّخِرُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ عَلَى قَوْلِ⁽²⁾، غَيْرَ أَنَّ الْكُنُوزَ أُبْلَغَ فِيهَا فَاتٌ عَلَى فِرْعَوْنَ، فَنَاسِبٌ أَنْ يُعَبَّرَ بِهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي بُسِطَ فِيهِ ذِكْرُهُ وَمُلْكُهُ وَتَسَلُّطُهُ⁽³⁾؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْرَزَ فِي الْمَفَارِقَةِ بَيْنَ الْحَالَيْنِ.

فائدة تخصيص ذكر ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في الشعراء:

وَقَدْ جَاءَ فِي سُورَةِ الدُّخَانِ: ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(٢٨) [الدُّخَانُ: 28] فِي الدُّخَانِ؛ فَلِأَنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ فِي الشُّعْرَاءِ ذِكْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِغَرَقِ عَدُوِّهِمْ وَنَجَاتِهِمْ مِنْهُ؛ نَاسِبٌ ذِكْرُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ بِأَنْ أَوْثَقَهُمُ النُّعْمُ الْمَذْكُورَةُ مِنَ الْجَنَّاتِ وَالْعِيُونِ وَالْكُنُوزِ وَالْمَقَامِ الْكَرِيمِ؛ أَيْ: أَوْثَقَهُمْ إِيَّاهَا أَوْ أَمْثَالَهَا فِي الشَّامِ لَا فِي مِصْرَ، فَقَالَ: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

وَمُنَاسِبَةٌ ذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَيْنِ (بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ) أُخْرِجَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، فَسُلِبَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ مَا كَانَ لَهُ دُونَ إِعَادَةٍ؛ لِأَنَّهُمْ هَلَكُوا (وَهُمْ قَوْمُ فِرْعَوْنَ)، وَأَعْطِيَ الْفَرِيقُ الْآخَرُ أَمْثَالَ ذَلِكَ فِي أَرْضِ فِلَسْطِينَ (وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ تَشْبِيهِهِ بِلَيْغِ⁽⁴⁾.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الدُّخَانِ: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(٢٨) [الدُّخَانُ: 28] فَهُمْ قَوْمٌ مَلَكَوا مِصْرَ بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ غَرَقِ فِرْعَوْنَ رَجَعُوا إِلَى مِصْرَ، بَلِ الْوَاردُ أَنَّهُمْ دَخَلُوا فِي التِّيَّةِ، ثُمَّ دَخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ⁽⁵⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 294 / 25.

(2) ابن جماعة، كشف اللعاني، ص: 278.

(3) ابن جماعة، كشف اللعاني، ص: 335.

(4) ابن جماعة، كشف اللعاني، ص: 279 و335، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 303 / 25.

(5) ابن جماعة، كشف اللعاني، ص: 279.

والحاصل أَنَّ سورة الشعراء خُصَّتْ لإيراث بني إسرائيل أمثال كنوز قوم فرعون؛ لأنَّ سياق السَّورة دائرٌ في فلك إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين كما دلَّت عليه القصص الواردة فيها.

أمَّا سورة الدُّخان فقد خُصَّتْ بإيراث الأرض والزُّروع لقوم آخرين دون قوم فرعون الهالكين؛ لأنَّها - مع بيانها إنجاء المؤمنين - قد عرَّضت بأهل مكَّة المكذِّبين، فكأنَّه قيل لهم: إن لم تتوبوا وتؤمنوا فسوف نسلط عليكم مَنْ يقا تلکم، ويرث أرضكم ودياركم وأموالكم.

❁ الفروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المَقَامُ والمُسْتَقَرُّ:

المَقَامُ في اللغة يكون موضع القيام ويكون مَصَدْرًا مِنْ: قام يقوم⁽¹⁾، ومِمَّا يدلُّ عليه الجذر: الانتصاب⁽²⁾، والمعنى المحوريُّ له: انتصاب الشيء إلى أعلى ثابتًا، كقامة الإنسان وقيامه⁽³⁾.

أمَّا المعنى المحوريُّ لجذر المستقرَّ فيدور حول الثَّبات، وبهذا المعنى كلُّ مُسْتَقَرٍّ، وذلك في حال كونه مَصَدْرًا أو مكان استقرار⁽⁴⁾.

الكنز والذُّخْر:

الكَنْزُ: جَعَلَ المال بعضه على بعض وحفظه، وأصله مِنْ: كنزتُ التَّمَرَ في الوعاء⁽⁵⁾، والكَنْزُ: اسم للمال المدفون تحت الأرض⁽⁶⁾، وهو اسم للمال إذا أُحْرِزَ في وعاء ولما يُحْرَزُ فيه⁽⁷⁾، وكلُّ شيء غمَزَتْه بيدك أو برجلِك في وعاء أو أرض فقد كَنَزْتَه⁽⁸⁾.

فِي الْمَقَامِ
انتصاب، وفي
المُسْتَقَرِّ ثَبَات

الْكَنْزُ يَلْزِمُهُ
الامْتِلَاءُ وَالذُّخْرُ
لَا يَلْزِمُهُ

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 105/13.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).

(3) جبل، للعجم الاشتقاق: (قوم).

(4) جبل، للعجم الاشتقاق: (قرر).

(5) الراغب، المفردات: (كنز).

(6) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، اللسان، والزيدي، تاج العروس: (كنز).

(7) ابن منظور، اللسان: (كنز).

(8) الفيروزآبادي، البصائر: (كنز).

وجذر الكنز أُصِيلٌ يدلُّ على تجمُّعٍ في شيء⁽¹⁾، ومعناه المحوري: حِفْظُ الشَّيْءِ في باطنٍ يُمَسِّكُهُ ويستتره، ويلزمه امتلاءُ الباطن⁽²⁾.
والذُّخْرُ: خَبَاءُ الشَّيْءِ لوقت الحاجة⁽³⁾، يقال: ذَخَرَ الشَّيْءَ ذُخْرًا، أي: خَبَأَهُ لوقت حاجته⁽⁴⁾، وجذر الذُّخْرُ أصلٌ يدلُّ على إحرازِ شيءٍ يحفظُهُ⁽⁵⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كنز).

(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (كنز).

(3) الزبيدي، تاج العروس: (ذخر).

(4) السمين الحلي، عمدة الحفاظ، والزبيدي، تاج العروس: (ذخر).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذخر).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 38، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-80-8

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

مج. 38: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفرقان من الآية 43 إلى سورة الشعراء الآية 95.
1- القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن -
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-80-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»